# تعليم الجغرافيا وتحديات اقتصاد المعرفة

## تحليل نقدي

أ.د/ منصور أحمد عبد المنعم

أستاذ متفرغ – كليه تربيه . جامعه الزقازيق

**المقدمة :**

لاشك أن تدريس الجغرافيا عكس التغيرات واسعة النطاق التى حدثت فى الاقتصاد ، والمجتمع ، والبيئة ، فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية .والآن أصبح على مناهج الجغرافيا فى التعليم العام الاستجابة لتحديات العيش فى القرن ٢١والتى منها تداول فكرة الاقتصاد المعرفى العالمى وتدفق رأس المال ، السلع ، الأفكار والناس بسرعة متزايدة . والتحدى الآخر هو أن تلك القوى السابق الإشارة إليها أصبحت تهدد الإنسان بالإحساس بالمجتمع المحلى ، ويطرح هذا مسألة دور الجغرافيا كماده وكعلم فى الوضع التعليمى الراهن .

فى عام ٢٠٠٧ تم تقديم عروض فى المدارس وللمعلمين فى كل من الولايات المتحدة الأمريكية وفى المملكة المتحدة تتحدث عن ( حدوث التحول ) فى كل من السكان والاقتصاد ، وهذا التحول يقوده التطور التكنولوجى . وهذا يعنى أن أنظمة التعليم عليها أن تتكيف مع الأوضاع العالمية الجديدة . فالنمو السكانى الرهيب فى كل من الصين والهند مع شبح قوة العمالة الكبيرة والرخيصة والمتعلمة يمثل تهديدا لدول مثل الولايات المتحدة الأمريكية وحليفاتها فى أوروبا ، بريطانيا وفرنسا وألمانيا .

وهذا الوضع العالمى أدى إلى فكرة انه لا يوجد عمل أو وظيفة لشخص ما تستمر مدى الحياة A Job for Life ، وأنه فى المستقبل سيكون هناك حاجة للأشخاص الذين يتمتعون بالمرونة والاستعداد للعيش فى ظل المجهول . وأن الذى يحرك هذه التطورات هو النمو .

ظهور الاقتصاد الرقمى Digital Economy *ظهر مصطلح الاقتصاد الرقمى عام ٢٠٠٦ وهو انعكاس لانتشار استخدام تكنولوجيا المعلومات فى جميع جوانب الاقتصاد بما فى ذلك العمليات الداخلية للمنظمات والمؤسسات وفى المعاملات بين الأفراد والمنظمات . وساعد على ذلك رخص تكنولوجيا المعلومات وسرعتها وسهولتها فى الاستخدام .

وأصبحت تلك التطبيقات الرقمية فى كل مكان ومركز فى النشاط الاقتصادى والاجتماعى ، وكان لزيادة الاتصال آثاره العميقة على الجغرافيا الاقتصادية . كما سمحت تكنولوجيا المعلومات والاتصالات للأسواق أن تمتد لتصل إلى الصعيد العالمى كما وصفها الجغرافى بيتر ديكن peter Dickem١٩٩٨ فى كتابه التحول العالمى Global Shift .

أن العالم يزداد فى الاتصال والتشابك ومعدل تدفق المعلومات ، ولذلك لا نكون مغالين إذا قلنا أن الثورة الرقمية تعتبر أحدث حلقة فى سلسلة موجات الابتكار . وهذه الثورة تصف الصعود والهبوط فى النشاط الاقتصادى فى دورات تتراوح مدتها مابين ٥٠ إلى ٧٠ عاما على مدى الثلاثة قرون الماضية ، وساعد على ذلك ابتكار تكنولوجى جديد وهو الرقاقة الالكترونية الدقيقة والتكنولوجيا البيولوجية .

التعليم واقتصاد المعرفة Knowledge Economy * نحن جميعاً متشاركون فى التحول إلى اقتصاد المعرفة ، وقد صيغت عبارة اقتصاد المعرفة من قبل رجل الاقتصاد بيتر دراكر Peter Drucker عام ١٩٦٩ والذى ميز بين العمال اليدويين الذين يعملون بأيديهم وينتجوا الأشياء وبين العاملين فى مجال المعرفة الذين يعملون بعقولهم لإنتاج أو التعبير عن أفكار ومعارف ومعلومات .لقد أصبحت المعلومات والمعرفة تحل محل رأس المال و الطاقة بوصفها الأصول الأولية المنتجة للثورة ، كما حل رأس المال والطاقة محل الأرض والقوى العاملة . ومن ثم أصبحت التكنولوجيا والمعرفة من العوامل الرئيسية للانتاج .

لم تعد أنظمة التعليم الآن مهيئة لمتطلبات اقتصاد المعرفة . وبالتالى هناك إعادة تعليم للمجتمع من أجل مواجهة التغيرات الاقتصادية والثقافية . لقد أصبح من الصعب تعظيم مساهمة التعليم فى ظل ظروف مضطربة عالمياً ، وعلى الرغم من ذلك لا زال التعليم له أهميته فى جميع أنحاء العالم بسبب تطوير اقتصاد المعرفة العالمى . وبلدان مثل المملكة المتحدة أصبحت تعتمد على إنتاج وتجارة المعرفة لتأمين الرخاء الاقتصادى وذلك بسبب تراجع الصناعة التقليدية . وفى ضوء هذه الظروف الدولية المتغيرة وجب على نظام التعليم أن يعدل من نفسه لضمان تمكن الأطفال من تحقيق الازدهار الفردى والوطنى . وتتبدى النظرة الناقدة لدور السياسات التعليمية والاهتمام بالمعايير التربوية وعلم أصول التدريس والتركيز على اختيار المحتوى ، وان يتم التركيز بالتساوى على كل من النجاح الأكاديمى والتنمية الشخصية والاجتماعية لمواجهة تحديات القرن الواحد والعشرين .

نحن نتحول الآن من مجتمع التركيز فيه على الهويات القومية والاجتماعية الثابتة إلى مجتمع مرحلة ما بعد القومية وما بعد الاجتماعية ، مجتمع عالمى يعاد تشكيل الهويات فيه باستمرار ومن ثم على المدارس فى دول العالم ان تستجيب لتلك الحقائق الفعلية القائمة ، وألا ينظر إلى ما يحدث من تغييرات على أنها سيناريوهات خيالية لسياسة تطمح وتخطط لإعادة البناء الاقتصادى والتعليمى .

لقد قدمت الحكومات فى كثير من دول العالم المتقدم والنامى نوعا من التسوية السياسية غير المعلن بين الدولة وبين أصحاب العمل والعمال ، حيث قدمت الحكومات التزاما بالتنمية الاقتصادية والتشغيل للعمالة فى مقابل تقييد الأجور والرضوخ السياسي . هذا الوضع خلق مشاكل كبيرة لتلك الدول ، والجواب على هذا أشكال جديدة من الذكاء الجمعى Intelligence collective المعتمد على المعلومات والقائم على المعرفة والذى يعترف بوجود الذكاء المتعدد والبحث عن إجابة واحده صحيحة لحل لغز أو مشكلة ما .

يقتضى الذكاء الجمعى تغيير فى الطريقة التى نفكر بها حول العلاقة بين الفرد والمجتمع وبالتالى تغيير فى طريقة تنظيم مدارسنا ومؤسساتنا . فإذا كان القرن العشرين قد هيمنت عليه روح المنافسة فيجب أن يبدأ القرن الحادى والعشرين بمحاولة لخلق روح التعاون ، على الرغم إن ما نراه أن روح التعاون توجد بين القوى العظمى فى مقابل القوى الأخرى وعليه نستطيع أن نقول أن روح المنافسة لازالت موجودة بين القوى العالمية ، ويظل الجدل قائم .

## تغير جداول أعمال السياسات الحالية :

لقد أصبحت هذه الأفكار السابق طرحها عن التحول العالمى والثورة الرقمية والاقتصاد المعرفى مؤثره جدا فى النقاشات حول السياسات التعليمية فى كثير من دول العالم . ومن ثم تأثير هذه الأفكار والمناقشات على طبيعة المناهج الدراسية والتعليم والتعلم . فلا زالت المدارس بعيده كل البعد عن الواقع والعالم الذى ينمو ويحيا فيه الأطفال . لا زال التدريس يركز على المسارات المعرفية بينما يركز قليلا جدا على المهارات الشخصية مثل العمل الجماعى والاحترام المتبادل والتفاعل الاجتماعى . فالمدارس ليست بأهم الأماكن لتعلم الأطفال لأنهم يقضون ٨٥٪ من ساعات استيقاظهم خارج المدرسة فهم يتعلمون بشكل كبير من ألعاب الكمبيوتر والتليفزيون وينظمون حياتهم من خلال هواتفهم المحمولة والشبكات الاجتماعية والانترنت والفيس بوك وغيره .

ولا زال نشاط التدريس فى المدارس والفصول وداخل عقول المعلمين وخبراء التربية فى دول العالم النامى يقوم على افتراض بأن المعرفة هى أشياء يمكن تخزينها فى العقول والكتب وقواعد البيانات . ووفق هذه الرؤية الأخيرة تظل المعرفة شئ ثابت يتراكم ببطء على مر الزمن .

وفحوى الفكرة المحورية فى هذا النقاش هو وجود فجوه متنامية بين المناهج الحالية والخبرات وبين مطالب العالم الخارجى . فمحتوى المناهج الدراسية خارج التواريخ وبطئ فى رد فعله ومجزأ وغير مناسب لاحتياجات الأطفال . ولذلك ينبغى على التعليم فى القرن الحادى والعشرين ان يستجيب

لتحديات اقتصاد المعرفة ، وان ينظم حول مبادئ الاستحقاق ، والاختيار ، والمنافسة ، والمساءلة ، والأداء ، والتخصيص .

فعملية تحسين وتجديد المدارس ينبغى ان تكون جزء من قضايا تحسين وتجديد الحى وخاصة فى المناطق الأكثر حرماناً ، فالمدارس تتأثر بالأحياء التى توجد فيها على الرغم ان لها دورا مساويا لغيرها فى تعزيز التماسك الاجتماعى.

لقد أبرز التقرير لهيئة أوفستد Ofsted وهى الهيئة المسئولة عن قياس توفير شروط التعليم فى انجلترا فى أكتوبر عام ٢٠٠٧ ، وجود أداء ضعيف للأطفال والشباب الذين يعيشون فى المناطق الأكثر حرماناً وظهر هذا الضعف فى أهداف مرحلة التعليم الأساسى ونتائج الاختبارات ومن ثم وجب الكثير لفعله بسبب الخلفية الاجتماعية والاقتصادية وأثارها على فرص التعليم ومن ثم الحياة للأطفال والشباب .

لقد تغلغلت علاقات سوق العمل فى النسيج الاجتماعى لحياة الناس وظهرت مشكلات سماها البعض مشكلات ما بعد المادية مثل اعتلال الصحة النفسية والشعور بالوحدة وتزايد إعداد الأطفال والشباب المتضررين نفسيا من اضطرا بات الأكل والسمنة وإدمان المخدرات بأنواعها وعدم مقاومة التسوق والإنفاق وتراكم الأشياء وانهيار العلاقات بما في ذلك علاقة الزواج سواء في الدول المتقدمة أو حتى في الدول النامية أو ما يطلق عليها أحيانا دول العالم الثالث وان كان المسمى الأخير بدأ يتغير وتظهر تصنيفات اخرى بعد حدوث ما يسمى بدول الربيع العربي ومحاولة القوى العظمى اعادة رسم خريطة العالم مع تركيزها على ولادة شرق أوسط جديد

وبعض الكتاب كتب عن السعادة والتعليم وارتأى البعض أن الاثنين لا يسيران جنبا إلى جنب ، بينما يرى البعض الأخر أن السعادة والتعليم ذوى ارتباط وثيق حيث أن يكون هدف التعليم تحقيق السعادة الشخصية

والاجتماعية . وعلى الرغم من ذلك يسأل البعض السؤال لماذا الكثير من الأشخاص المبدعين المتألقين كرهوا المدرسة ؟

وأثبتت بعض الأدلة أن التركيز على الاختبارات بشكل كبير يمكن أن يدمر التعليم والابتكار والتجريب واصاله التفكير . يتضح من العرض السابق أن اقتصاد المعرفة والمناقشات حوله يسير جنبا إلى جنب مع السياسة التعليمية فى الاهتمام بأمور وقضايا اجتماعية وهذه القضية غير واضحة ودور المدارس فى حلها يبدو غير واضح كذلك .

## التحليل الجغرافى والاقتصادى الرأسمالى :

يرى البعض أن السياسة التعليمية المعاصرة فى بعض البلدان المتقدمة ترتبط بالتخيل الجغرافى الذى يرتبط بتخيل الاقتصاد الرأسمالى العالمى الذى أصبحت فيه السلع والخدمات والناس يروج لها بمعدل أسرع من اى وقت مضى . لقد أصبح تدفق رأس المال من والى أماكن معينه يهدد فى الواقع وقد يؤدى إلى تقويض الإحساس بالمكان . ويمكن للجغرافيا أن تلعب دور فى دعم الشعور لدى الناس بالذات وجعلهم ينتمون كمواطنين فاعلين ، وان تقدم وسيلة لتطوير المهارات والكفاءات اللازمة للاستمرار فى الحياة أو العيش فى الاقتصاد العالمى . هذا نظام جديد يكون فيه مجال أكبر من المعرفة الجغرافية وسيكون التركيز على تطوير الاتجاهات والقيم داخل نفوس الطلاب كى يلعبوا دورهم كمواطنين صالحين .وهذه النظرية الأخيرة تفسح مكانا للجغرافيا فى المدارس

## اعتبارات حديثة قدمتها الجغرافيا الاقتصادية :

لقد تغيرت طبيعة الاقتصاد العالمى بشكل مفاجئ وهائل ، فقليلا ما نجد الآن صناعات لديها الكثير من الحماية الطبيعية تحميها من المنافسة الدولية بينما فى الماضى خلق البعد الجغرافى تأثير عزل قوى . لقد ساعدت الجغرافيا الاقتصادية فى زيادة فهمنا لهذا التحول العالمى وان عملية العولمة تحدث بمعدلات مختلفة وان الطرق التى تؤثر بها يصعب التنبؤ بها فيتشابك كل ما

هو عالمى و ما هو محلى بطرق معقده . ودفع هذا بعض الجغرافيين إلى الحديث عن عملية العولمة Globalization بأنها من الشؤون الجغرافية .

ويلخص البعض التحليل الناقد لاقتصاد المعرفة والجغرافيا الاقتصادية المعاصرة فيما يلى :

أولاً : أننا نعيش فى عالم بدون حدود .

ثانياً : العولمة هى قوى لا تقاوم تبلغ وتفوق الناس والأماكن.

ثالثا : العولمة مؤشر على اندثار الدولة القومية.

رابعا : أسطورة عدم حصانة العامل .

خامساً : أسطورة اليد العاملة الرخيصة .

ويرى البعض أن الرأسمالية العالمية وجدت فى جميع الأوقات وفى جميع الأماكن وان الرأسمالية هى الطريقة المهيمنة على تنظيم الإنتاج . ورغم ذلك هناك الرابحين وهناك الخاسرين من العولمة فنحن نعيش فى عالم فيه العلاقات الاجتماعية الرأسمالية هي المهيمنة لدرجة ينظر بها البعض إلى الرأسمالية أنها استعمار لجميع جوانب الحياة الاجتماعية . وعلى الرغم من هذه الأفكار السابقة لا زالت بدائل موجودة بالفعل فى العالم للاتجاه السائد لليبرالية العالمية الجديدة .

قد يكون ما طرحناه سابقا محبطا إلى حدا ما ولكن تحدث تونى بلير Tony Blair رئيس وزراء بريطانيا السابق وصرح قائلا :

*"قد ورثنا بلد ويقصد (بريطانيا ) به مئات من الأحياء قد شابت البطالة والفشل التعليمى والجريمة ، وقد أصبحوا ينعزلوا تدريجيا عن الازدهار . والفرص التى يأخذوها معظمنا كمنح ، فالمجتمعات تنهار والخدمات العامة تفشل فى عملها وبدأ الناس أن يفقدوا الأمل" .*

كان أحد التطورات فى المناقشات حول الجغرافيا والسياسة الاجتماعية منذ سبعينات القرن الماضى ، أن المكانية والاجتماعية لا يرتبطان بشكل تلقائى

وبالتالى اعتبرت السياسات القائمة على أساس المناطق اى البعد الجغرافى المكانى غير ملائمة فى حل مشكلات الفقر والتفاوت الاجتماعى .

فمفهوم المكان لم يعد مغلق كما يعتقد البعض فى ظل تزايد الاتصالات والتدفقات بين الأماكن المرتبطة بمناطق جغرافية متنوعة . ويبدو انه توجد القليل من الأدلة على فهم السياقات الجغرافية والاجتماعية الأوسع نطاقا التى تعمل بها المدارس .

أن أحد أهداف الدراسة الجغرافية أن يحس الأفراد بحياتهم ومكانهم فى العالم وان يجعلوا لحياتهم ومكانهم فى العالم معنى . وهذه هى أنواع المعرفة التى يمكن أن تقدمها الجغرافيا وغيرها من المواد الدراسية فى التعليم العام .

نحن لا نريد مداخل ملطفه أو مسكنات لمشاكلنا التى نواجهها ويواجهها أطفالنا من خلال تركيزنا على ما يمكن تسميته الذكاء العاطفى Emotional intelligence ، فى وقت ترى فيه النخب الفكرية أن الذكاء العاطفى يمكن أن يعتبر وسيله لتحسين قدره الفرد على الانخراط بنجاح فى ما سمى الرأسمالية الجديدة New capitaliom فى المدارس التى تواجه تحديات فى التماسك الاجتماعى .

والسؤال الذى نود أن نسأله هو : كيف ينبغى أن تكون استجابة معلمى الجغرافيا فى المدارس لتلك التحولات السابق طرحها فى السطور السابقة وكيف يمكن الإعداد للحياة فى اقتصاد المعرفة العالمى ؟ وهل وجب الوقت لإعادة النظر فى أهداف تدريس الجغرافيا فى المدارس للقرن الواحد والعشرين ودور الجغرافيا فى فهم عمليه الإعداد للمجتمع وإعادة صياغة المجتمع والطبيعة .

ويبدو أن الجغرافيا أصبحت فى موضع نقد عن دورها بعدما رآها البعض من الكتاب والمفكرين الجغرافيين أنها فشلت فى تثقيف الناس ومساعده الناس على فهم ما يحكم حياتهم ، وإنها لا تعدو أن تكون أحد العوامل والأدوات المساعدة على الحفاظ على الوضع الراهن وليس كوسيلة للتحول المحتمل .

نحن يمكننا تحقيق فهم أعمق لطبيعة الجغرافيا ووضعها فى المنهج المدرسى باستخدام بعض الأفكار المعقدة الكبيرة المطورة فى الجغرافيا مثل المساحة ونطاقها أو حجمها ، والترابط والبيئة ، والثقافة والتنوع ، وتطوير سياسات المكان .

إننا نعتقد أنه من المفيد جدا للشباب أن يحققوا هدف خلق الإحساس بالعالم أو فهم العالم من حولهم والذى ينقل إليهم ويتعرضون له يوميا عبر وسائل الإعلام المختلفة .

## الجغرافيا ومواجهه المستقبل :

السؤال الذى يطرح نفسه فى هذا الجزء من الموضوع :

- هل المدرسة الجغرافية هى ماده لهذا اليوم وللغد ؟ هل هى عالقة بالماضى ؟
- وهل دورها هذا يحد من امكانيه مساهمه الجغرافيا فى التعليم ؟

كتب جاردنر (2006) Gardner كتابا بعنوان " خمسه عقول من أجل المستقبل" Five minds for the future أشار فيه أن الفكر التربوى لازال محافظا جدا فى الممارسات وهذا ليس شيئا ننقده ، ولكن الممارسات الحالية فى التعليم فى كثير من الدول ومنها مصر لم تعد تعمل أو تناسب تغير الأوضاع فى مصر والعالم والحقيقة أننا علينا أن نسأل أنفسنا الأسئلة الآتية :

- هل المادة الجغرافية فى مدارسنا ومناهجنا مبسطه ومحبوبة بالنسبة للشباب ؟
- هل أداء الطلاب والشباب فى الجغرافيا جيد ؟
- هل هم فى الامتحانات يعكسوا هذا الأداء والحب ؟
- هل هم فى دراستهم للمادة الجغرافية وتعاملهم معها على علم ووعى ومواطنين لديهم شعور بالمسئولية ؟
- هل يوجد تقدير للجغرافيا من الآباء والمعلمين وليس فقط من قبل الطلاب؟

فى حقيقة الأمر الجغرافيا ماده محيره Elusive subject على عكس الفيزياء أو الرياضيات. فالجغرافيا لديها صعوبة فى تقديم نفسها فى مظهر

وحده منضبطة ومتماسكة ، ولكن بدلا من ذلك تعتمد على استيراد أساليب ومداخل من العديد من التخصصات الأدنى ، خلال فتره ق ٢٠ وما بعد الحرب العالمية الثانية أصبحت الجغرافيا أكثر احتراما أكاديميا وفكريا بسبب ما قدمه القياس الكمى والنماذج و البحث عن القوانين والدقة التى يفترض أن المادة تحتاج إليها .

مثل هذا الموقف له نتائج مترتبة عليه فلكى تكون تربوى جغرافى يعنى أن الجغرافيا تحتاج إلى أن تفهم فى سياق التعليم . ونحن نفترض أن المعلمين يمتلكو فلسفه للتعليم لأنهم لديهم معتقدات ومعارف عن التعليم والتى تشكل فهمهم لأهداف الجغرافيا وأغراضها وعملياتها .

أنك كمعلم جغرافيا لابد أن تكون على علم وعقيدة بما يمكن للجغرافيا تجلبه إلى طاوله المفاوضات ، لذلك على الشباب أن يعرفوا المعارف العلمية الأساسية فى الجغرافيا وكيفيه استخدام الأسلوب العلمى وكيفيه تقييم المعرفة العلمية الجغرافية وأن يتكون لديهم تنور علمى أو ما نسميه محو الأمية العلمية الجغرافية . وهذا ما نؤكده عند مناقشه تطوير الجغرافيا فى المناهج المدرسية .

نحن نأمل أن تجلب وأن تحقق هذه المناقشات السابق طرحها مثيرات للتفكير طموحه عن استخدام الجغرافيا بوصفها مصدرا أو موردا للمناهج .

## توضيح ما معنى أن نفكر بطريقه جغرافيه :

إلقاء الضوء على كيف أن المدرسة الجغرافية يمكن أن تساعدنا فى التعامل مع خبرات الشباب الجغرافية ، ومساعدتهم على تصور أنفسهم فى العالم الآن وفى المستقبل وتشجيع الفضول والتحقيق فى العالم ، وكيف يروا أنفسهم على أنهم مشاركين فى وضع المناهج الدراسية .

# المراجع

Lambert ,D. & Morgan j . teaching geography 11-18 : A concept Approach New york , open university Press .first edition 2010